



وصناعة ايضاً

ا الزواج في عالم التلفزيون طالعتنا به جميع الصحف. جيد، فالاعلان عن اتفاق التعاون بين "ام.بي.سي." و"المستقبل" يستحق ان نهىء أنفسنا مرتين. مرة لما يعنيه من تطوير للصناعة الاتصالية العربية، ومرة اخرى لأن التعاطي مع الخبر يعبر عن بداية تحول في مقاربتنا للتلفزيون. انها من المرات الاولى على الارجح التي نقرأ فيها خبراً عن اقتصاد التلفزيون في الصفحات السياسية وعند البعض في الصفحة الاولى. المزيد من الجهد، يا سادة الشاشة، ونصير نجد اخباركم حيث يجب ان تكون: في صفحات الاقتصاد، بانتظار ان تفيض هذه الاخبار السارة وغير السارة فتستلزم تخصيص باب يومي للصناعات الاتصالية.

|| السينما ازدواجيتها معروفة على الاقل منذ ثلاثة ارباع القرن. هي فن، لكنها ايضاً صناعة، قال لينين. التلفزيون اكثر التباساً، او ربما كان اكثر وضوحاً. ليس فناً الا في ما ندر، ولعله لا يكون فناً الا متى استلهم السينما. كذلك انه ليس فقط مرادفاً مرئياً - مسموعاً للصحافة المكتوبة، ليس مجرد اعلام. الامر المؤكد الوحيد انه ايضاً صناعة. مؤكداً حقاً؟ ليس في العالم العربي حيث التلفزيون سياسة او تجارة، او الاثنتان معاً، والتجارة قواعدهما تختلف عن الصناعة، وكذلك السياسة، وفي الحاليين لا تراكم مديد لفائض رأس المال، بل صرف وفير او ربح سريع.

للامانة، لم يكن الوضع دائماً هكذا. في طفولة التلفزيون العربي، كان للمؤسستين العاملتين في لبنان، "شركة التلفزيون اللبنانية" و"تلفزيون لبنان والمشرق"، بدايات منطق صناعي استمر بعض الوقت في الشركة التي دمجتهما، اي "تلفزيون لبنان"، قبل ان تتغلب عليها السياسة والتجارة معاً، سياسة من خارجها وتجارة من خارجها. للبنان ظروفه الاستثنائية خلال الحرب وبعدها، ناهيك بنزعة الرأسمالية اللبنانية الراسخة الى تمجيد عقلية التاجر الأبدي (فينيقيا! فينيقيا!).

ولكن التلفزيونات العربية الاخرى؟ نضع جانباً محطات "إستقبل - و- ودّع"، فالسؤال عن الصناعة التلفزيونية العربية لا يطرح نفسه الا منذ بدأ عصر الفضائيات الخاصة. الا ان الجواب ظل مذكاً عالقاً. ربما لأن هذه التلفزيونات لم تكن خاصة الا من ناحية الشكل، او لأنها لم تبدُ في حاجة الى عقلانية اقتصادية كونها تشكلت على خلفية رأسمالية ريعية.

ولا تشذ عن هذه القاعدة الفضائية السورية المنشأ الاوروبية الموطن، وان يكن الريع الذي وراءها لم يأت من مصدر طبيعي اسمه النفط، ولا الفضائيات اللبنانية الاساسيتان. ف"المستقبل"، بفعل ثروة صاحبه، يصدر بمعنى ما عن الاقتصاد الخليجي، وها هو يعود اليه. اما "المؤسسة اللبنانية للارسال" التي اعطت العرب "الفضائية اللبنانية"، فانها تأتي من شبه قطاع عام، يوم كانت التلفزيون الرسمي في دويلة "القوات اللبنانية"، ولم تتح لها "خصصتها" الانصراف لحظة عن وتيرة التجارة السريعة لصوغ مشروع صناعي، خصوصاً انها ظلت محكومة بهواجس شبه قطاع عام آخر، وان يكن على نقيض "القوات اللبنانية". فئة ثالثة من الفضائيات زادت من الابهام الاقتصادي للمشهد التلفزيوني، هي فئة المحطات الفضائية الممولة من دول او امراء او وزراء خارجية والتي شاركت رغم ذلك في المزاحمة التجارية والاعلانية، واشهرها هي طبعاً "الجزيرة".



III الريع له نهاية، ينبئنا القران المعقود بين "ام.بي.سي." و"المستقبل". او هكذا يؤمل، فلا تكون التبريرات الاقتصادية التي قُدمت في شرح هذه الخطوة قناعاً لمشروع سياسي يقوم على مواجهة المحطة المدعومة من امارة قطر بمجموعة محطات مدعومة من النظام السعودي وحلفائه المباشرين. اياً تكن النيات، يحمل الحلف الجديد بعداً ايجابياً، فهو يعلن ان النشاط التلفزيوني قطاع اقتصادي، وليس نزوة عند الممولين، كما بدا في اول عصر الفضائيات. قطاع اقتصادي في ذاته، ولغة اقتصادية غير معهودة.

من المفاهيم الجديدة مثلاً ان حقوق الصور مصدر تمويل اساسي، وقد انتعشت بها مالية "الجزيرة" منذ ان حصلت على حصرية صور ابن لادن و"طالبان". حتى قبل ١١ ايلول، كان بيع الحقوق يؤمن جزءاً لا بأس به من ميزانية "الجزيرة"، فتصوروا الحجم الذي بلغه بعدما صارت كل تلفزيونات العالم مضطرة الى التبضع لدى المحطة القطرية، خصوصاً ان ميزة هذا النمط الآخر من الريع انه يتجدد على الدوام. فكل صورة لابن لادن يعاد بثها تعني مدخولاً جديداً، الا اذا كان هناك اتفاق مسبق آخر يكون هو ايضاً مصدر ربح، مثلما حصل مع "سي.ان.ان."، النموذج وربما الشريك المقبل. فالعروس، اي "الجزيرة"، كبرت وصارت حرزانة.

IV التلفزيون صناعة، لكنه ايضاً سياسة، وليس فقط عند العرب. ومنطق القطاع العام ليس وفقاً على هذه الضفة من المتوسط. الهجمة على "الجزيرة" من هذا المنطلق، وما قد يعرض عليها من عروض شراكة مع مؤسسات اعلامية غربية يأتي ايضاً في هذا السياق، وقد لا تستطيع ان ترفضها، وكذلك المشاريع التي قد تهدف الى مخاطبة الرأي العام العربي بواسطة غربية المنشأ عربية اللسان. اول مشروع من هذا النوع بدأ التفكير فيه في فرنسا. تلفزيون فرنسي باللغة العربية، فكرة قديمة في باريس عادت الى الواجهة. لكنها قد لا ترى النور، ففي الفلك الفرنسي، ثمة من سبق الجميع. انها محطة "تي.في.٥" الفرنكوفونية التي تتشارك فيها فرنسا مع كندا وبلجيكا وسويسرا.

مديرها الجديد، التونسي سرج عدا، سيطلق قريباً نشرة اخبار بالعربية، وربما برامج مخصصة للعرب، على احدى قنواته. التلفزيون سياسة، لكنه ايضاً صناعة. ولم يعد مستبعداً ان تتطلع احدى المجموعات الاتصالية الدولية الى اقتحام السوق العربية. وفي اي حال يمكن المراهنة على ان العالم العربي صار مرشحاً لدخول الجغرافيا الذهنية للاطراف الفاعلين في الاقتصاد الاتصالي المعولم. لا تكرر شيئا... ربما ان الاوان لتعديل قانون المرئي والمسموع.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000732	
Media	(Support)	HC
Title		وصناعة ايضاً
Subtitle		
Section		مرور الكلام
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/١١/١٩ 19/11/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	لينين - بن. لادن
	Locations	لبنان - شرق. أوسط - سوريا - باريس - سويسرا - كندا - بلجيكا
	Dates	
	Themes	عرب - إعلام. عربي - شرق. أوسط - لبنان - تلفزيون. لبنان - فضائية. سورية - تلفزيون. عربية - تلفزيون. مستقبل - تلفزيون. جزيرة - تلفزيون. أم. بي. سي - ١١. أيلول - تلفزيون. سي. أن. أن - محطة. تي. في. ٥
Subject		